نيتشه وأخلاق القوة

يعد مفهوم القوة من المفاهيم الرئيسة التي شكلت جوهر فلسفة الحياة ، وهي قيمة إنسانية يسعى إلى : تبنيها ، أو اكتسابها ، أو الاقتراب منها كل موجود بشري.

إنها غاية كل أشكال الزمر والتجمعات البشرية (دولا وجماعات) وحتى الأفراد فقد عدت عاملا انبثقت منه الحضارات البشرية ، وللقوة عدة مصادر وصور فقد تكون : (نفسية ، إيديولوجية مادية ، علمية ، مذهبية ...) إنها مفهوم مرحل نجد له حضورا في حقول إنسانية مختلفة.

يعتبر نيتشه(1766-1824) أبرز ممثل لفلسفة القوة الفردية التي تعود جذورها إلى هيروقليدس والسفسطائيين * فالقوة طاقة كامنة محركة تكمن في صميم الموجود البشري وتتحقق هذه القوة في الواقع بواسطة الفعل الذي يعد محاولة لتحقيقها ، والإنسان لا يعرف إلا بإظهار القوى الكامنة فيه ، وحتى " القدرة الإلهية لم تعرف إلا بتجليها على هيئة قوى متعددة عرفت بها "

ترتكز فلسفة نيتشه أساسا على إظهار القوى الإنسانية وعناصرها ممثلة في : الإرادة الذاتية (الفردية) ، المغامرة ، الصراع ، الحرية ، الفعل ، المعرفة والسلطة .. إنها عناصر تجسدت في فكر فيلسوف القوة الذي سعى إلى بلورة هذه القوى بناء على مبدأ الإرادة – إرادة القوة الذاتية * .

إنه المبدأ القطب الذي تدور حوله المحاور الرئيسة للفلسفة النيتشوية : نقد القيم ، علاقة الأنا بـ الهم ، مفهوم العزلة ، هي المنطلقات الفكرية للفلسفة الذاتية الأخلاقية النيتشوية حيث ينطلق نيتشه من تأسيس فكرة : الصيرورة بدل الوجود . والفعل محل الجوهر .

وقد ركز على نقد فلاسفة الذات بداية من الكوجيتو الديكارتي :

ديكارت يقول " أنا أفكر" وهنا تتحدد الذات الكلمة . هناك أنا يفكر ويرى الحدثيون العكس : يفكر هي التي تحدد والأنا يتحدد، تكون "الأنا" حينئذ جمعية يشكلها الفكر نفسه فالوعي بناء اجتماعي يرتبط بالأدوار الاجتماعية (اللغة والاتصال) ، فكلما ازداد الإنسان وعيا كلما تعددت أخطاؤه وهفواته التي تؤدي حتما إلى موته ، إن الحداثة التي يتصورها نيتشه في انتصار الوعي هي اغتراب للطاقة الإنسانية المنفصلة عن نفسها والتي تعادي ذاتها بتماهيها مع إله ومع قوة غير إنسانية ، وتفرض على الإنسان الخضوع لها .

-/1الأخلاق الذاتية :

لقد شكل مصدر القيم نقطة خلاف اتضحت معالمها مع الاتجاهين الموضوعي الجماعي الذي يعتبر القيم محض تواضع اجتماعي حيث يخلقها المجتمع وباعتبار الفرد جزء من المجتمع

فهو يسعى كذات إلى الالتزام بها. أما الاتجاه الذاتي فيرى أن الذات الفردية هي خالقة القيم باعتبارها مصدر الإبداع وما المجتمع إلا مجال فيه إبداعات الذات بما فيها القيم.

اهتم نيتشه بنقد الأخلاق السائدة حيث قسمها إلى أخلاق الضعفاء (أخلاق العبيد) التي ازدراها وأخلاق القوة (أخلاق السادة) التي تعبر عن الأخلاق الذاتية وتظهر وفقها قيمة الفرد التي كانت مغمورة في وسط غوغائي،تعد هذه الرؤية بمثابة الأرضية الجديدة التي تأسست وفقها فلسفة القيم بشكلها الجديد .

لقد سادت النزعة الشمولية والمذاهب الكلية على حساب الذاتية هو عصر طبعته التاريخية وسيطرت عليه أخلاق الضعفاء رمز الانحطاط والعدمية ، لأن مصدرها شمولي كلي يقصي الذات ويرسخ الضعف والخضوع ، لذلك ينطلق نيتشه من أخلاق الإرادة (إرادة القوة) ، فهو ضد كل ماهو قبلي ومطلق فالأخلاق الإنسانية الراقية مصدرها إرادة الحياة التي يعتبر وجهها الحقيقي إرادة القوة.

ينتقد نيتشه الفكرة التي رفضت النفعية ورأت أن القطيعة معه لن تكون إلا بالعودة إلى الحق الطبيعي والفكر المسيحي حيت نجعل من فكرة الذات موضوعا مركزيا لتأملاتنا ، وقد أسس موقفه على فكرة مفادها أنه يوجد أقوياء وضعفاء ، وسادة ومسودين ، وطيور جوارح وحملان ، وبينهم علاقات مادية تفتقر إلى أدنى أبجديات العنصر الأخلاقي " حيت تعتبر هذه العلاقات هي علاقات الحياة نفسها هي علاقات الأنواع بالأفراد ، فالضعيف يفسر قوة خصمه على أنها قسوة وبالتالي ينطلق من علاقات القوى التي ليست في صالحه حيت يدرج وراء أفعاله إرادة وجوهرا ، وهذه هي إرهاصات نمو فكرة الذات اللاعقلانية الاصطناعية . التي يمكن تشبيهها بتفسير الرجل العامي للشحنات الكهربائية – التي هي حادثة علمية - بتفسير غيبي كردها إلى الصواعق التي تصبح قوة في حد ذاتها وقد تتخذ شكلا الإله.

إن إدراج القيمة العامة والضمير هو آلية دفاعية تتواجد عند الضعفاء وهذا مايؤدي إلى تدمير نظام الطبيعة ، ولذلك يتخذ نيتشه مبدأ القوة التي يرفض باسمها كل ما هو مطلق يدعوا إلى الوهن والضعف مشيرا إلى (اليهودية والمسيحية) وقد ركز على المسيحية دين الضعفاء . وقد كتب في كتابه أصل الأخلاق ناقدا سقراط وتلميذه : ".. مثل هذا الإنسان يحتاج للاعتقاد في " الذات " المحايدة كمجال للاختيار الحر وذلك عبر غريزة للحفاظ على الشخصية ، ولتأكيد الذات التي تسعى للحفاظ على الشخصية ، ولتأكيد الذات التي تسعى من خلالها كل الأكاذيب أن تجد لها تبريرا واقعيا ، ربما بقيت الذات (أو النفس كما تقول لغة العامة) حتى اليوم موضوع الإيمان الذي لا يهتز ، وذلك لأنها تسمح للأغلبية الكبرى من البشر الفانين والضعفاء

والمقهورين من كل نوع ، بهذه الخدعة الرائعة والتي تهدف إلى التعامل مع الضعف على أنه حرية وجودهم على هذا النحو على أنه جدارة. "..

منذ بداية القرن التاسع عشر (19) أصدر شوبنهاور (1860 – 1788) Arthur Schopenhauer كتاب "العالم كإرادة وتمثل " 1818 ، ابتعد شوبنهاور عن عالم العقل " التكنيك " عالم الأنانية ونفى الحياة الاجتماعية.

ابتعاد شوبنهاور لم يكن بدافع خلق نظام اجتماعي جديد بل هي دعوة إلى الحياة والرغبة (إلى كل ماهو غير مشخص في الخبرة المعاشة) وليس إلى ماهو واع وإرادي ، ينبغي تدمير الذات وأوهام الوعي كما ينبغي الحذر من أوهام النظام الاجتماعي الذي يقتصر على حماية الشهوات الإنسانية .

كيف لم يرفض الفكر والفعل النقديين ؟ أوهام الأنا الفردية والنظام الاجتماعي ؟ كيف لم يدافع عن الفكر الأخلاقي والاجتماعي الصارم – من شوبنهاور إلى برغسون ؟ عن ضد الحياة ضد التكنيك ؟ وعن الاستمرار والحياة الاجتماعية ضد الانقطاع والحياة الفرديةٍ ؟.

يعارض نيتشه حل شوبنهاور ، رغم أنه يتبنى نقده للفردية وأنه يضع نفسه في قلب الحداثة ويطالب بتراث التنوير ولاسيما فولتير وذلك رفضا للمسيحية ، لقد رسخ شوبنهاور أخلاق الضعف ورفعها فوق الفردية والذاتية ساعيا للبحث عن ماهية لا تتغير وهو ما يعتبر مقدمة نظرية للشمولية والكلية التي تتخذ مفاهيم مختلفة مثل : (القومية ،الأمة، الإنسانية ، الإرادة العامة ...) وهي أفكار يضمحل وفقها كل ما هو ذاتي فقد وقع شوبنهاور حسب نيتشه تحت تأثير الروح التي لم يسلم منها هيجل أيضا (الروح المطلق) لقد اهتم نيتشه بنقد القيم المطلقة التي اعتبرها مظهرا من مظاهر انحطاط الحضارة الغربية حيث يقول :" إننا بحاجة إلى نقد القيم الأخلاقية ، وإذن قيمة هذه القيم ينبغي أن تطرح على بساط البحث قبل كل شيء . "..

وقد لخص نيتشه الفكرة في أن كل ما هو غير ذاتي وغير أناني أي كل فعل لا يخدم صاحبه (فهو فعل خير) .وكل ما يخص الذات أو يأتي عليها بالفائدة فهو فعل شرير وأناني وما هو ملاحظ في البداية هو تغييب كلي للذات.

-2أخلاق السادة وأخلاق العبيد :

يقسم نيتشه الأخلاق إلى أخلاق تتسم بالقوة مصدرها الأقوياء ، وهي التي تنطبع على المجتمع ، ومن جهة أخرى نجد أخلاق الضعفاء مصدرها العبيد (عامة الناس) العلاقة بين النوعيين يطبعها الاختلاف حيث ينفر الضعفاء من كل ما هو قوي وشرير.

وذلك ما عبر عنه بقوله : ".. هناك أخلاق للسادة وأخلاق للعبيد ، وإني لأذهب إلى أنه في كل الحضارات العليا والمختلطة ، تظهر محاولات للتوفيق بين هذين النوعين من الأخلاق ، فالتمييز بين القيم الأخلاقية إما أن ينشأ عن نوع من السادة الذين يجدون لذة في التميز عن المسودين ، أو ينشأ عن المسودين (العبيد) ..."

ويمكن أن نستنتج تقابلان : تقابل بين الحسن والقبيح ، وتقابل بين الخير والشر ، الذي يعتبر أصله احتقار الجبان والمتصاغر الواهن.

يرى نيتشه أن الضعيف هو الذي يقبل احتقار الآخرين له ، وبناء على ذلك فإن فضائل (الصدق وحب الذات والشجاعة) تندرج ضمن أخلاق القوة بينما لا تعبر أخلاق الضعفاء إلا عن : (الإهانة ، والخوف والجبن) وهذه صفات طغت على هذا العصر الذي حتما سوف يؤول إلى الزوال لأن الحضارة الإنسانية قامت على أساس القوة والإرادة الذاتية المتميزة .

فالقوة تجسيد للذات وشعور بالسعادة والرغبة في السيطرة وإثبات الوجود الذي يقوم على الإيمان بالذات والافتخار بها وهو ما يتنافى مع فكرة الضعفاء (إنكار الذات)، فالقوة مصدر كل شيء (القيم والنظم واللغة) ، لأنها تتميز بحركية الإبداع أما الضعف فلا يولد سوى الاستكانة والوهن وهذا ما يفسر بقاء الضعفاء في دائرة التلقي والمحاكاة.

فالقوي يخلق فعله خلقا ، فهو فعل ذاتي بما فيها الأخلاق التي هي تعبير عن شحنة تنفجر من ذاتها دون مثير خارجي لتنير ضياءها كالقبس في المجتمع ، أما الضعيف فيحتاج دوما إلى مثير خارج الذات وبالتالي فلا فعل له في الحقيقة بل كل ما يقوم به هو ردود أفعال (إستجابات متنوعة) ، وقد عبر نيتشه عن هذا بقوله : " .. كي تولد أخلاق العبيد فهي في حاجة دوما و قبل كل شيء إلى عالم مواجه لها خارج عنها إنها بحاجة إلى حافز خارجي لكي تفعل فعلها . ويحصل العكس عندما يتعلق الأمر بتقديم القيم عند الأسياد ، فالتقدير هنا يفعل فعله وينمو بعفوية ، إنه لا يبحث عن نقيضه إلا لكي يؤكد ذاته نفسها مع ما يخالط هذا التأكيد من بهجة وتعرف على الذات ".. .

وتظهر العلاقة بين الذات والآخر حيث نجد الأقوى يسعى دوما إلى إثبات ذاته وإظهار قوته من خلال الآخر . أما الضعيف فإنه لا يؤكد ذاته بل يفضل الغيرية والتضحية بالذات ، وفي هذا نجد أن : .. حياة الضعفاء روتينية جوفاء . بينما حياة الأقوياء زاخرة جياشة ديناميكية ، فالضعيف يتمنى السلام والحرية والمساواة وكل ما يوصله إلى الحياة الهنيئة دون كد أو كفاح . أما القوي فيشمئز من الرتابة والسكون . حيث يفضل الخطر المصحوب بالديناميكية على

السلام المصحوب بالضعف ، وحتى في الجانب النفسي نجد انفعالات الكره والانتقام والحقد لدى الضعفاء بينما نجد الإقدام وروح الغلبة والهجوم لدى الأقوياء .

إن استقرائنا للواقع يبين أن الشعوب القوية تمجد انتصاراتها باحتفالات مخلدة ، بينما لا تلتفت أبدا إلى نكساتها .وهو نزوع طبيعي إنساني نحو القوة ونفور من الضعف إذن تعتبر القوة والذات القوية ، والذاتية هي مصدر كل القيم والأفعال نظرا لما يمتلكه من إرادة وحرية التي هي مصدر الحياة التي هي إرادة ، وإرادة القوة هي الحياة ، وهي منتج القيم فكيف ينظر نيتشه إلى القيم ؟

/3منظومة القيم :

كيف ينظر نيتشه إلى القيم ؟ وكيف تتحدد ؟ .

يتأسس مشروع نيتشه الفلسفي على النقد الجينيالوجي النسابي للقيم ، بما هو بحث في الأصل عن القيم والاعتقادات لمعرفة أصولها وطريقة تشكلها ، إنه المسعى الوحيد في نظر نيتشه لإنجاز نقد كلي يتجاوز فلسفة المعنى والذات ، ومن التباساتها الميتافيزيقية فالقيم عند نيتشه وجب أن تكون نقدية وهو ما فشل فيه سابقوه وعلى رأسهم كانط ، الذي فشل في تأسيس فلسفة نقدية كاملة ، انطلاقا من القيم التي تتطلب قلبا نقديا.

إن البحث الجينيالوجي عن المعنى يمر عبر استقصاء ومعرفة القوة أو القوى التي تمتلك الشيء تفاضليا مع القوة أو القوى المسيطر عليها ، والتي تجعل من الشيء أو الظاهرة كيفما كانت ليست ظهورا أو بروزا بقدر ما هي علامة ، بل علامات وهنا تصبح الفلسفة عند نيتشه – كما يؤكد جيل دولوز – علم أعراض Symptomalogie ، ونظرية عامة للعلامات. Sémiologie

بناء على تقسيمه للأخلاق يرى نيتشه أن التنازع بين السادة والعبيد هو مصدر الصورة الأخلاقية للقيم التي تتحدد في نمطين أساسيين : (أخلاقية العبيد la Moralité des Masses وأخلاقية السادة). الطبقة الراقية التي تتأسس وفقها القيم ويتشكل معها التاريخ . وينجم عن هذا التقسيم انشطارا في جملة المعاني الإنسانية حيت هناك : (الخبرة، الحس ، الفضيلة) ، وهي معاني ملازمة لأفراد أقوياء يتسمون بالجمال ، ويوصفون بالفضلاء دوما . وهناك : (الرداءة ، القبح ، الشر) ، وهي معاني ملازمة للضعفاء (العبيد) والعامة.

تتميز القيم عند نيتشه بطابعها النسبي حيث لكل أمة قيمها ولكل فرد قيمة حسب الظروف والمقتضيات وهذه القاعدة الفكرية للذاتية ، المبررة باسم التميز بين الأفراد الذي يؤمن به نيتشه ، حيث يقول : ".. لم أر جارا يتمكن من إدراك حقيقة جاره..." . وهنا يحيلنا إلى مسألة الحقيقة التي يراها نسبية متعددة بتعدد الأفراد والشعوب.

ينطلق نيتشه من تأسيس فكرة الصيرورة بدل الوجود ، والفعل محل الجوهر.فالحقيقة ذاتية نسبية تتنافى مع كل ما هو موضوعي مطلق* لذلك يقول : " فكرة الحقيقة المطلقة هي اختراع للفلاسفة غير المقتنعيين بعالم الصيرورة ، الباحثين عن عالم ثابت من الوجود والحقيقة هي ذلك النوع من الخطأ الذي بدونه لا يمكن لنوع معين من الكائنات أن يعيش. "...

فالحقيقة دوما ذاتية نسبية . وهذا ما يجعلها تتشكل في صور الخطأ ، وهنا يبرز دور الفيلسوف الذي يتمثل أساسا في تقدير القيم ونقدها وهو جوهر عملية التقييم التي يعتبرها رزادوشت خلقا

إن الحقيقة في جوهرها وثيقة الصلة بالإنسان وسيره ، وليس هناك حقيقة خارج التاريخ الإنساني ، فالإنسان خالق هذه الحقيقة لأنه بها يثبت وجوده ويحافظ عليه ويعطي للذات ماهيتها الحقة .لذلك فعملية خلق القيم هي التي تحافظ على النوع الإنساني رغم أنها قيم نفعية لكنها كلها تتسامي بالإنسان وتجعله يرتقي على مدارج الإنسانية.

ويتضح جوهر الذاتية عند نيتشه في تميزها بصفة الإبداع والخصوصية التي تشمل الأفراد والشعوب وحتى الحضارات ، تنبني فلسفة الذات عند نيتشه على مبدأ نسبية القيم الأخلاقية والجمالية وهو مايتنافى مع الكلية والثبات في الأخلاق والقيم ، وما ينفي أيضا الحتمية والضرورة العمياء ، ويرسخ الإيمان بالتعدد والتغير والنسبة . فالإيمان بالصيرورة يحيلنا إلى الاعتقاد بعدم ثبات الأهداف والخلق المتجدد والإبداع الذي يعتبر ضرورة تقتضيها الحاجات المتغيرة للذوات والشعوب ووفق هذا التغير والتبديل تنتعش دوما قيم إنسانية جديدة.

ولكن مامصير القيم السابقة القديمة حسب نيتشه ؟

-/4الثورة القيمية :

يؤمن نيتشه بأن هناك إبداعا قيميا لذلك يقول بالثورة والتغيير ولكن بالهدم أولا :".. إن هدف المعرفة ليست المعرفة لذاتها ولا إدراكا للحقيقة المطلقة . بل هدفها السيطرة فالمعرفة وسيلة لتلبية احتياجاتنا العملية. "

من الضروري ظهور الفرد المتمرد والمخاطر والهدام لكل ما هو سائد من وعى زائف للخروج من مرحلة الانحطاط ، لابد من تضحيات وآلام واستنكارا في أوساط العامة فالانتقال إلى مستوى أكثر إنسانية مرهون بالتغير الجذري ، وهنا ينبغي توجيه التشاؤم في المنحى الإيجابي كطريق من أجل التغيير ، فهو يرفض التشاؤم المطلق لأنه سلبي (تشاؤم الخضوع والوهن) غاليا ما يحيلنا إلى العدم . وهنا يبرز نيتشه محبا للحياة التي يبدعها لكنه يلح على ضرورة قلب هذه القيم حيث يقول:

.. "رغم أنني أحب الشيء الذي أخلقه إلا أنني يجب أن أنقلب على حبي .." . فتجاوز القيم البالية وهدمها ضرورة تقتضيها روح الحضارة وقيم الذات المتجددة .

5/- الذات والآخر (الفرد والجمهور) :

هل يعتبر الآخر عاملا من عوامل إبداع الذات ؟ أم يتخذ شكل الخصم الذي يقف في طريقها ؟

.

يتخذ نيتشه من مسألة العلاقة بين الذات والآخر موقفا يؤكد فيه نزعته الذاتية حيت يلح على وعي الذات والإرادة القوية (إرادة الحياة) التي تتواجد في الذات وتضمحل في العامة .

يرى نيتشه أن الحياة مع الآخرين تكرس مظاهر العبودية ومن خلال القوانيين التي تجعل الفرد تابعا مستهلكا لامجددا مبدعا. ويرى نيتشه أن الذات المتميزة هي تشذ عن هذه القاعدة ، حيث يقول : ماخلق الرجل الممتاز لكي يسير وراء القطيع. بل خلق لكي يكون ثورة على القطيع فالقلب والتحطيم يعتبران بمثابة الأرضية التي تمهد لظهور الإنسان الأعلى والاستثناء قاعدة مهمة لتطوير المجتمع الذي ينكفئ على التقليد والمحاكاة.

فسيطرة الآخر تؤدي إلى إعاقة الذوات المتميزة (نخبة المجتمع) وهو ما يؤدي حتما إلى انحطاط الحياة والوجود. حيث تضيع معالم الاستقلال الذاتي، فالقوى لا يشعر بالضعيف و لا يحتاج إلى دعم وحماية في حين نجد الضعيف يشعر دوما بالخطر لأنه يحتمي بالجماعة. فالذات تعي ذاتها بينما لا يعي الآخرون ذلك لأن كل ما لديهم هو وعي زائف بالواقع المتدني والأفكار الرثة.

وهنا نجد أن نيتشه يضع حدا يفصل فيه بين الذات المتميزة والآخر في إشارة منه إلى الإنسان العادي يمثل جزءا من القطيع.

لكن كيف تحقق الذات وجودها ؟ هل التمرد و قلب القيم يقتضى الانعزال والقطيعة الفعلية التامة مع الآخر ؟.

إن الآخر يسعى دوما إلى طمس معالم الذات والقضاء على روح الإحساس بالمسؤولية. لذلك ينبغي على الذات الخالقة أن تعي ضرورة ترفعها عن مستوى الآخر وجعلهم يرتقبون لأن الضعيف ينبغي أن يسعى للارتقاء إلى درجة القوي في حين لا ينبغي للقوي أن ينزل إلى مستوى الضعيف.

إن تواجد الذات المتميزة وسط القطيع -حسب نيتشه- يفسدها ويحولها من القوة إلى الوهن ، ومادامت الذات لا تحقق وجودها بالاعتماد على جهود وطاقات الآخرين بل باستثمار الطاقة الكامنة فيها (طاقة الخلق والإبداع) فإن الضرورة تقتضي منها الانعزال عن الآخرين والعيش بمنأى عن المحيط. فالعزلة ليست سلبية ولا دائمة بل هي مؤقتة إيجابية عزلة الفعل والخلق.

لأن الذات ما لبثت أن تعود إلى الآخرين ثائرة على القيم السائدة مغيرة للمفاهيم ومبدعة للبدائل الفعالة، التي تفيض على الآخرين وتثري وجودهم ، وهي الفكرة التي عبر عنها برتراند رسل بقوله"..إن المبدعين في العقيدة كانوا ممقوتين في عصرهم .." يتشكل الآخرون حسب نيتشه في تجمعات غوغائية تسودها الروح الانتقامية ويتميزون بسلوكات آلية شهوانية ..
ويعتبر نيتشه نفسه غريبا وسط الآخرين وابنا للعزلة حيث يقول ".. وطني أيتها العزلة ، لقد طال اغترابي وسط المتوحشين..." يفضل نيتشه الانعزال عن الآخرين، عن الحياة الآلية لأن الذات تحقق وجودها في انعزالها حيث تسمو العاطفة وتنتعش المفاهيم وتتخذ القرارات الصائبة المجردة عن كل تأكيد. وهذا هو جوهر الحياة التي تقتضي التجديد بالقطيعة مع ترسبات الماضي والتجديد المتواصل للوعي الخلاق.
إن العزلة التي يدعو إليها نيتشه ليست مطلقة فهي عزلة ظرفية تحدد الذات من خلال قوتها تم تعود إلى الآخرين لتمنحهم هذه القوة – فهي كالشمس التي يسطع نورها على الآخرين – حيت تبقى الذات في علاقة جدلية بين التمركز حول ذاتها والعودة إلى الآخرين.

تتمتع كل ذات –حسب نيتشه- بصفات تميزها عن باقي الذوات وهذا هو جوهر الذوات القائمة على التعدد الذي يفرز ثراء الوجود الإنساني. وهذا ما يقضي فرضية تجميع الذوات في وحدة كلية وإبداء شكلها في صورة قطيع بشري هو في الحقيقة ضرب من ضروب العبودية وعرقلة للارتقاء الإنساني لذلك ينادي نيتشه بضرورة تحرير الذات من سيطرة الآخر (المجتمع)
لا يكتفي نيتشه بالقول بتحرير الذات من الآخر بل يدعو إلى ضرورة تفوق الذات على الآخر .
لأن مبدأ التفوق هو مطلب حضاري أين تنال الذات من الآخر الاعتراف بتفوقها القائم على الكفاءة والاستحقاق لأن مواهب الذات المتفوقة تظهر وسط المتناقضات .باعتبار هذه المواهب نتيجة الفعل ، وبفعل الصراع الذي ينتج دوما الأفضل الذي هو في حقيقته الأقوى.
يهدف الصراع إلى تحقيق قيم الارتقاء والتقدم، حيث ينبثق القوي والمثل من أعماق الذات الإنسانية التي تسعى دوما إلى تجاوز ذاتها (ما هو كائن) ، هنا يقدم نيتشه انتقادا لاذعا لكل القيم التي تكرس العبودية والخضوع وتضمحل من خلالها استقلالية وتميز الذات بين الديمقراطية والمساواة .
لقد قادت الحداثة إلى العدمية ، وإلى استنفاذ الإنسان الذي انتقلت قدراته إلى العالم الإلهي بواسطة المسيحية ، التي سمتها الضعف وهو ما يؤدي إلى انحطاطها واختفائها الذي لا مفر منه

. إن قلب القيم يؤدي إلى رفض هذا الاغتراب وإلى استعادة الإنسان لوجوده الطبيعي وطاقته الحيوية وإرادته في القوة.

6/- السوبرمان (الإنسان الأعلى) وإرادة القوة:

باعتبار الإرادة الطاقة الكامنة التي تنتظر التفجير فهي ميزة الذات الساعية للارتقاء عن الـ هم / المجموع ، ولهذا فقد تأسست الفلسفة النيتشوية على فكرة إرادة القوة التي اعتبرها جوهر الوجود الحقيقي ، وركيزة هامة تمكن الذات من تحقيق إمكانياتها التي كبحتها سلطة الكل / المجموع ، ونجد لهذه الفكرة حضورا عند العديد من الفلاسفة الذين تبنوا النزعة الفردية

تعني الإرادة عند نيتشه تأكيد الحياة من خلال الحفاظ عليها فهذه الحياة لا تتضح معالمها الحقيقية إلا بممارسة الإرادة - أي إرادة القوة ، التي يتحقق بها الكمال والوجود الذاتيين ، إلا ان ممارسة هذه الإرادة ليس معطى جاهزا بل يحتاج إلى أهم خطوة عملية هي الإقدام على ركوب المخاطر والمغامرة حيث يقول : "..ينطوي كل فعل إرادي على المخاطرة. "..

فالإرادة الحقة مقترنة دوما بالقوة وتتمركز قوتها في الحفاظ على الذات والسعي لتجاوزها ، لأنها (الإرادة) لا تكافح من أجل شيء لا تمتلكه ، إن ممارسة الإرادة هو النهج الأمثل لتحقيق الكمال والوجود الذين بهما تستقيم الحياة الحقة التي عمادها إرادة الحياة.

يظهر نيتشه ناقدا لإرادة الشرائع التسلطية الصورية المصطبغة بالنعوت البراقة ، لأنه يرى فيها إرادة وهمية أساسها المعرفة الصورية

في حين تتميز إرادة الحياة – حسب نيتشة – بقدرتها على الإبداع والخلق والتجاوز لواقع متردي الأوضاع ، تجاوز أساسه تقاطع الإرادات وذلك ما يظهر من خلال صراع القوى والإرادات الأقوى والأضعف ، فالقوي يمتلك زمام السلطة وفي الوقت نفسه نجد كاهله مثقلا بحمل مخلفات إرادة الضعيف مما يجعله معرضا دوما للأخطار المستمرة التي يستمر معها تغيير قراراته في كل مرة ، والضعيف يحمل إرادتين : إرادة القوي الذي جعله ضعيفا وإرادته التي تتوق إلى الانتصار وتبؤ مركز القوة ، وهكذا يتشكل الصراع الموجه من طرف إرادة القوة حيث يعتبر هذا الصراع المحرك الرئيس للحياة وهذه هي إرادة الحياة التي يضمحل من لا يمتلك أدنى مؤهلاتها ، وقد عبر نيتشه عن ذلك بقوله "... تيقنت من وجود إرادة القوة في كل حي ورأيت الخاضعين أنفسهم يطمحون إلى السيادة لأن في إرادة الخاضع مبدأ سيادة القوي على الضعيف فإرادة الخاضع تطمح إلى السيادة لتتحكم فيمن هو أضعف منها وتلك هي اللذة الوحيدة الباقية لها ، فلا تتخلى عنها "..

وقد أعطانا نيتشه موقعا آخر نجد فيه إرادة القوة ففي العلاقات العاطفية مثلا بين العشاق ، نجد أن كل طرف يحاول امتلاك الآخر وأسره بطرق مختلفة وهذا ضرب من ضروب إرادة الهيمنة الوصول إلى القوة أمر ممكن بالنسبة للضعيف الذي يعتبر طرفا هاما في الصراع لذلك يجب عليه الاستمرار لبلوغ مراتب القوة وامتلاك إرادة الحياة التي هي التجسيد الواعي لمرامينا في الحياة ، حيث يقول : "... الإرادة قوة الوجود الذاتي الذي يحقق بها إمكانياته الكامنة وسط عالم الذوات والأشياء ، وتنبثق هذه القوة من الحرية ، التي تمكن الذات من الاختيار بين الممكنات ثم تمتلك القدرة التي تحقق الممكن الذي أصبح واقعا (الذي تم اختياره. "... (

وقد دعا نيتشه إلى هدم التقاليد البالية التي غالبا ما تشكل عوائق تحول دون تحقيق الذات لمجدها وقوتها فهدم هذه التقاليد يفتح المجال لخلق قيم جديدة أساسها القوة وسمتها الإبداع ، فالماضي يشكل إرثا ثقيلا يرغمنا دوما على إعادته وفق أوجه مختلفة ، أما الراهن الذي لا تقبله الذات فهو الأمر الواقع السلطوي القسري الذي تتواجد الذات فيه مرغمة على تجاوز البعدين الماضي والراهن /الواقع.

ويتخذ نيتشه موقفا سلبيا من المدنية وقيمها كـ: التسامح ، الفضيلة ...، حيث يرى أنها أخلاق سمتها الضعف ، ويعزى الخضوع الذي يعيشه الإنسان إلى تبني هذه الأخلاق الوهمية ، وهذا ما يشكل دعوة إلى إرادة الحياة (إرادة الذات) هي دعوة إلى تجسيد إرادة الفعل.

وتعتبر إرادة القوة أساسا للحياة بكل تجلياتها ومظاهرها وتشكيلاتها البشرية المنتظمة في أشكال مجتمعات ودول ، ووجود القوة مؤشر إيجابي ودليل على وجود المزيد من الحياة بفضل الفعل الحر الإرادي الذي يمهد لظهور الإنسان الأعلى (السوبرمان) ، هذا الإنسان الهدام ، المتميز ، الثائر على كل الراهن بكل مضامينه وتجلياته من قيم رثة وتقاليد بالية تشكل قواعد تسلطية قهرية تتموقع في الجمهور القاتل لإرادة الحياة القامع للذات المتميزة التي تسعى إلى الارتقاء ، هذه الذات التي يعيش بداخلها الإنسان الأعلى الساعي إلى التمرد والارتقاء مرورا بالعزلة التي تتيح إمكانية استجماع القوى ومضاعفتها وصولا إلى العودة للجمهور لتجسيد القيم الجديدة ، إنه إنسان متميز مؤهل لتأسيس معايير أخلاقية نابعة من ذاته الإبداعية التي تفيض بإرادة التغيير وقد عبر عنه نيتشه بقوله : ".. إنه فرد متميز لا يشبه إلا ذاته ، متحرر من أخلاقية العادات والتقاليد ، الفرد المستقل والسوبر – أخلاقي ، الإنسان الذي يستطيع أن يقطع عهدا ، ذلك الذي يمتلك في ذاته وعيا حقيقيا بالحرية والقدرة وشعورا في النهاية بأنه وصل إلى اكتمال الإنسان فيه. "...

فالتجمعات البشرية الحقيقية المبنية على القيم - حسب التصور النيتشوي - مصدرها الأقوياء ، الذين يحققون طفرة نوعية تنقل الجماهير من الضعف والوهن إلى حيز الحياة والقوة فهذا الإنسان المتميز ينتظر منه الكثير وقد عبر نيتشه عن ذلك بقوله : " ... إنه ذلك الذي جعلته الطبيعة سيدا ، ذلك الذي تطبع القوة سلوكه ونتائج أفعاله ، إنه موجود قدري غير معلل ولا يحتاج حضوره إلى تبرير ، يخلق الأنماط القيمية فطريا ويعتبر الإبداع والتجديد المستمر والعصمة سمة ما يخلقون."...

يعتبر الإنسان الأعلى مدار الفلسفة النيتشوية ، الإنسان الصاعقة / اللهب المتوهج ، الذي لا هو نزل من العلاء ولا جاء من العالم الآخر ، ولا هو من نسيج الخرافة أو عالم الميتافيزيقا ، بل يعيش بين الـ هم الذين يكبحون تحركاته ، إنه ذلك المتميز المتجه إلى الارتقاء الهادف لتطوير الجنس البشري والرقي به على مدارج الإنسانية ، إنه إنسان يتواجد في الصخرة / الـ هم ، وما علينا سوى تكسير هذه الصخرة لتمكينه من الخروج ، إنه موجود قدري غير معلل ولا يحتاج وجوده إلى تبرير

تميز مسعى نيتشه بالدفاع عن الإنسان الذي يعاني هيمنة الجمهور وتسلطه ، إنه موقف يزدري أخلاق الضعف والوهن التي يرى فيها مقدمة لنتيجة حتمية هي انهيار الحضارة الغربية ، فلسفة نيتشه تمجيد للذاتية وتعكس نزوع نيتشه نحو الفردانية.

إنها فلسفة تغييرية انصب اهتمامها على تأكيد الذات والبحث عنها (أي عن الذوات المفقودة) والعمل على التمكين لها بعيدا عن الأوضاع الوهمية الممقوتة التي يزخرفها الجمهور ، كما تتسم بكونها فلسفة النزعة التحررية من كل أشكال القهر والاستعباد الجماهيري والهيمنة الدينية والتوجهات اللاإنسانية التي تسعى إلى سلعنة القيم وتشيء الإنسان ، كما انتقد الأنظمة التي تدعي احتواء القيم والتي رأى أنها تقوم على الاستبداد والسيطرة في أشكال مختلفة.

أما أخلاقيا فقد رأى البعض أنه يجب قراءة الفلسفة النيتشوية بشكل صحيح لأن نيتشه لا يدعو إلى هدم الأخلاق النبيلة كما فهم البعض لأن الأخلاق هي الركيزة الأساس لقيام أي مجتمع إنساني ، وإنما دعا نيتشه إلى هدم الأخلاق التي تربي فينا سمات الضعف والتسليم بالقدر ، فقد مجد الحب والأسرة النقية في قوله : ".. لا صلاح لأسرة فسدت منابع أطفالها ..." ، ومقت العلاقات الجنسية التي لا تقوم على الحب الذي تسمو به الحياة ، وهذا ما يدل على إيمانه بقدسية الحياة الإنسانية السليمة.

إلا أن هذا لا يبرر دوما رفض التسامح والإخاء وباقي القيم الإنسانية بحجة أنها أخلاق الضعفاء .